وسائل نجدة العثمانيين للأندلسيين

كانت تلك الوسائل - كما أسلفتُ - وسائل غير مباشرة ، ولكن كان لها دور فعّال في إنقاذ عدد كبير من مسلمي الأندلس ، فمن تلك الوسائل :

أولاً : محاولة استرداد لما أخذه الإسبان من مدن على الساحل الإفريقي :

إذ أنهم تمكنوا من احتلال أجزاء ساحلية لا بأس بها من المغرب والجزائر مثل سبتة ومليلة في المغرب [1] واستطاعوا احتلال مدن المرسى الكبير ووهران وبجاية ومستغانم وتلمسان في الجزائر ، وطرابلس الغرب [2] ، ولقد قام بهذه المهمة القائد المسلم الشجاع خير الدين باربروس وأخوه

(١) « جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس » : ٢٤٢ ، ٢٤٦ ، ولا زالت تلك المدينتان بأيدي الأسبان إلى الآن .

(٢) المرجع السابق : ٢٤٨ ، ٢٥٣ .

عَرُّوج الذيْن عيـنا من قبل الدولة العثمانية ، واستطاع خير الدين استعادة الجزائر سنة ٩٢٢ هـ ، ١٥٣٣م [١] ، واستطاع عَرُّوج دخول تلمسان أيضاً، وأخضع خير الدين تونس للسلطنة العثمانية سنة ٩٤٠ هـ ، ولا يخفى في هذا المقام أن الإسبان عندما دخلوا بعض بلاد المغرب العربي استطاعوا أن يضعوا حكاماً خونة من العرب كانوا دائمي الاتصال بهم حين تعرضهم لهجمات العثمانيين ، فقد كان هؤلاء الحكام يخبرون النصارى بتحركات العثمانيين ضدهم وفي حالة انتصار العثمانيين ودخولهم البلد يفر ذلك الحاكم ويلجأ إلى النصارى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله [٢] .

ثانياً: القيام بحملات بحرية ضد إسبانيا منطلقة من سواحل الجزائر :

وقد عقد ممثل الدولة العثمانية في الجزائر « القلج علي » [٣] اتفاقاً سرياً مطلع سنة ٩٧٧ هـ مع المسلمين الأندلسيين [الموريسكيين] المعتصمين بجبال البُشرات ، ويقضي هذا الاتفاق بأن يقوم الموريسكيون بثورة في الوقت

(١) المرجع السابق : ٣١٩ . (٢) المرجع السابق : ٣١٩ ، ٣٠٢ ، ٢٩٤ .

(٣) أي الشهيد علي .

الذي تصل فيه القوات الإسلامية من الجزائر إلى مناطق معينة على الساحل الإسباني ، وبالفعل وصلت أربعون سفينة من سفن الأسطول العثماني أمام مرسى المرية الإسباني لشد أزر الثوار ، لكن أخفق ذلك المخطط بسبب انكشاف أمر أحد رجال الثورة وضَبْطِ ما معه من سلاح [١] .

ثالثاً : القيام بعمليات إنقاذ الأندلسيين وذلك بنقلهم إلى سواحل المغرب :

ولقد تمكن خير الدين باربروس والي الجزائر من قبل العثمانيين « خلال سبع سنوات أن يوجه ٣٦ بارجة إلى السواحل الإسبانية لنقل سبعين ألف موريسيكي »[٢] .

وقد عاملت الدولة العثمانية الأندلسيين معاملة الرعايا العثمانيين ومنحتهم امتيازات خاصة تعويضاً لهم[٣] .

« ولقي خير الدين هذا استحساناً كبيراً من لدن مسلمي

---

(١) « جهود العثمانيين لإنقاذ الأندلس » : ٣٩٨-٣٩٩ بتصرف .
(٢) « الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب » : ٨٥ .
(٣) « موقف الدولة العثمانية » : ١٣٨ .

الأندلس ، فقد جاء في رسالة بعث بها أهالي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٤١ ما يأتي :

« وقد كان بجوارنا الوزير المكرّم المجاهد في سبيل الله خير الدين وناصر الدين ، وسيف الله على الكافرين ، علم بأحوالنا وما نجده من عظيم أهوالنا لما كان بالجزائر . . . فاستغثنا به فأغاثنا ، وكان سبب خلاص كثير من المسلمين من أيدي الكفرة المتمردين ، ونقلهم إلى أرض الإسلام ، وتحت إيالة طاعة مولانا السلطان »[١] .

وسيرة خير الدين وأخوه عَرّوج مما تستحق أن تفرد بدراسات كثيرة لما كان لهما من أياد بيضاء على أهل الأندلس والمغرب ، ولما أظهراه من بطولات هي قدوة لشباب الإسلام .

رابعاً : قام السلاطين العثمانيون بتطمين الموريسكيين بأنهم معهم ويشعرون بما يجري

---

(١) « الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب » : ٨٥ .

عليهم ، وليس أدل على ذلك من هذه الرسالة :

« إنه على ضوء أمر شريفي إلى بيلرباي الجزائر [١] فيقوم هذا الأخيرعلى تقديم جميع المساعدات والإعانات إليكم وذلك لما أظهرتموه من همة إسلامية ، وغيرة في الدفاع على الدين وعدم ترككم له ، وهذا على الرغم من الحروب والقتال مع الكفار أذلهم الله ، إذ أنكم أبديتم كل أنواع الإقدام والشجاعة . . . ولا تتخلوا عن إعلامنا دائماً بأحوالكم وأوضاعكم في تلك الجهة » .

ولقد جاء في تلك الرسالة أنه بعد فتح الدولة العثمانية لقبرص فإن الأسطول العثماني سوف يتحول إلى إسبانيا لمساعدة الموريسكيين » [٢] .

خامساً : حرص العثمانيون على عدم اتحاد أوروبا ضد الأندلسيين أو غيرهم من المسلمين :

فبذلوا الجهود الدبلوماسية ، وأقاموا علاقات مع فرنسا لإذكاء عداوتها ضد إسبانيا [٣] .

---

(١) أي والي الجزائر من قبل السلطان . (٢) المرجع السابق : ٩٦ ، ٩٧ .
(٣) « موقف الدولة العثمانية » : ١٣٨ .

هذه كانت بعض الخطوات التي قام بها العثمانيون لمساعدة مسلمي الأندلس ، صحيح أنها قد كانت بمثابة «إنقاذ ما يمكن إنقاذه» وليست عملاً عسكرياً مباشراً قوياً إلا أن ما قام به العثمانيون وغيرهم يوضح بجلاء الروح الإسلامية القوية المتعاطفة مع الأندلسيين .

وقد لخص بعض الباحثين [١] أسباب عدم تمكن الدولة العثمانية من استرجاع الأندلس ، وهأنذا أورده ملخصاً لما فيه من الفائدة :

١ - بعد المسافة بين العثمانيين والأندلسيين .
٢ - تضييق الحصار الصليبي على غرناطة باعتبارها الحلقة الأخيرة في سلسلة السيادة الإسلامية .
٣ - عدم اكتمال خبرة العثمانيين البحرية ، حيث كانت معظم حروبهم برية .
٤ - توتر علاقات العثمانيين بدولة المماليك قلّص فرص التعاون لإنقاذ الأندلس .
٥ - انشغال العثمانيين بمجابهة عدد كبير من الأعداء في قارات متعددة .

---

(١) المرجع السابق : ١٣٧ - ١٣٨ .

وفي الختام

ندعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل شهداء الأندلس ، وأن يعيد ذلك الفردوس المفقود ، وأن ينشر النور والضياء على جميع بقاع المعمورة ، وأن ينصر سبحانه المستضعفين في الأرض من المؤمنين ، ويقيض لهم من يسمع صرخاتهم واستغاثاتهم إنه سبحانه سميع مجيب ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

المصادر والمراجع

١ - **القرآن الكريم** .

٢ - « **الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب** » .

٣ - «**التاريـخ الأندلسي من الفتـح الإسلامي حتى سقـوط غرناطـــة** » ، د . عبد الرحمن الحجي . دار الاعتصام . مصر . الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ

٤ - « **جـهـود العـثمـانيين لإنقـاذ الأندلس واسـترداده في مطلع العـصـر الحديث** » . د . نبيل رضوان . مكتبة الطالب الجامعي . مكة المكرمة . الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ

٥ - « **الدراسات الإسلامية** » مجلة إسلامية علمية . عدد خاص عن الأندلس . تصدر عن الجامعة الإسلامية العالمية . إسلام آباد . باكستان .

٦ - « **موقف الدولـــة العثمانـــية تجاه مأســـاة المسلـمين في الأندلس** » . د. عبد اللطيف الحميد . طبع شركة العبيكان . الرياض .

٧ - « **نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء** » . للمؤلف نشر دارالأندلس . جدة . الطبعة الأولى ١٤١١ هـ .

٨ - « **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب** » الشيخ أحمد المقري التلمساني- تحقيق الأستاذ يوسف البقاعي . نشر دار الفكر . بيروت .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة
- الصنف الثالث : من خان المستغيثين	٨٠
ثانياً: الاستغاثة بالمماليك ملوك مصر والشام والحجاز	٨٣
ثالثاً: الاستغاثة بسلاطين آل عثمان	٨٧
● وسائل نجدة العثمانين للأندلسيين	١٠١
١- محاولة استرداد بعض مدن الساحل الإفريقي	١٠١
٢- الحملات الحربية ضد إسبانيا	١٠٢
٣- إنقاذ بعض الأندلسيين	١٠٣
٤- تطمين مسلمي الأندلس	١٠٤
٥- تفتيت وحدة أوروبا	١٠٥
● أسباب عدم تمكن العثمانين من استرجاع الأندلس	١٠٦
● الختام	١٠٧
● فهرس المصادر والمراجع	١٠٩
● الفهرس	١١٠